

مثل الكنز المُخفى

سلسلة أمثال المسيح

أنوار كاشفة

صديقي المستمع ، ماهو أثنى شيء لديك؟ بالطبع أن لكل منا أمر عزيز عنده. فالبعض قد يكون الأولاد هم أثنى شيء عنده. وآخرون قد يكون الزوج أو الزوجة أو الأم أو الأب أو أي شخص محبوب لديهم. أما بالنسبة لآخرين فقد تكون الثروة أو بيت يملكونه هي أثنى شيء عندهم. وقد يكون المنصب أو العلم أو الشهرة للبعض الآخر هي أثنى شيء لديهم.

صحيح أن كل هذه الأمور التي ذكرت هي أمور ثمينة وعزيزة لدينا. لكن هذه جميعها تبقى أمورا محدودة تنتهي بانتهاء حياتنا هنا على الأرض، إذ لا أحد يستطيع أن يأخذ معه شيئا إلى القبر. وعلاوة على ذلك فإن هذه الأمور قد لاتجلب السعادة الحقة لحياتنا، بل على العكس فقد تكون مصدر تعاسة لنا كالمال والشهرة والمنصب وأحيانا الأشخاص المحبوبين لدينا.

تحدث المخلص يسوع المسيح بمثلين عن أثنى شيء يمكن أن نحصل عليه في الوجود. وذلك من خلال الأمثال عن ملكوت الله التي تحدث بها لتلاميذه. ولقد دون لنا البشير متى في الأصحاح الثالث عشر ما قاله المسيح. قال المسيح في المثل الأول: " أيضا يشبه ملكوت السموات كنزا مخفى في حقل وجده إنسان فأخفاه ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل." (متى ١٣: ٤٤)

وهذا ما قاله المخلص المسيح في المثل الثاني: " أيضا يشبه ملكوت السموات إنسانا تاجرا يطلب لآلىء حسنة. فلما وجد لأولوءة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ماكان له واشتراها." (متى ١٣: ٤٥ و٤٦) شبه المخلص المسيح في مثلين سابقين تأملنا بهما في اللقاء الماضي، شبه ملكوت الله بحبة خردل صغيرة وخميرة مُخبأة. وقلنا إن هذا يشير إلى أن ملكوت الله أو ملكوت السموات موجود في الدهر الحالي، بالرغم من عدم رؤية الناس لمظاهره. وهو موجود الآن بشكل صغير لابل مخبأ وكأن لاقيمة له ولا أثر. لكن يوما ما سيصبح ملكوت الله هو القوة الوحيدة المسيطرة على عالمنا، وذلك عند عودة المسيح في مجيئه الثاني الباهر العظيم.

وفي هذين المثلين اللذين نتأمل بهما اليوم أراد المخلص المسيح أن يخبرنا حقيقة جديدة. أجل، فبالرغم من صغر شأن ملكوت الله وعدم رؤية الناس له في الدهر الحالي، لكنه في نفس الوقت هو ثمين جدا جدا. ولقد شبه المسيح ملكوت الله في هذين المثلين بالكنز المُخفى واللؤلؤة كثيرة الثمن. أي أن المخلص المسيح شبه ملكوت السموات بأثنى شيء في الوجود يمكن للإنسان أن يحصل عليه.

لا بل أعلن المسيح أن كل ممتلكات العالم ومقتنياته لا تساوي قيمة ملكوت الله الثمينة جدا، حتى ولو كلف الأمر أن يبيع الإنسان كل ما يملك في سبيل الحصول عليه. فهل كنت تعلم صديقي مدى أهمية ملكوت الله ومقدار قيمته الثمينة جدا؟ أو لا تحثك هذه المعرفة لكي تسعى للحصول على هذا الكنز العظيم مهما كلفك الأمر من تضحيات وثمرن باهظ؟

لقد شبّه المخلص المسيح ملكوت السموات بكنز مخفي. صحيح أن بشارة الخلاص المفرحة معلنة، لكنها في نفس الوقت هي كالكنز المخفي الذي لا يعرف قيمته الثمينة إلا الشخص الذي يجده. هكذا بشارة الخلاص لا يدرك أهميتها إلا الشخص الذي يجدها. ولهذا تابع المخلص المسيح المثل بالقول أن هذا الإنسان الذي وجد الكنز في الحقل، أخفاه ومن شدة فرحه مضى وباع كل ماكان له واشترى ذلك الحقل.

وفي المثل الثاني شبّه المخلص المسيح ملكوت الله بلؤلؤة واحدة كثيرة الثمن. فقد يظن البعض أن خلاص الله لا معنى له ولا قيمة. ولكن المسيح هنا يؤكد أن قيمته كبيرة جدا، وأثمن بكثير من اللآلئ الأخرى، حتى أن تاجر اللآلئ الحسنة مضى وباع كل ما كان له واشترى هذه اللؤلؤة الثمينة. نعم، إن خلاص الله ثمين جدا، وهل هناك أثمن من أن يحصل الإنسان على غفران خطاياها وأن يصبح من أولاد الله؟

إن الذي أراد المخلص المسيح إعلانه في هذين المثليين هو تأكيده على قيمة ملكوت الله أو خلاص الله الثمينة جدا، وليس على كيفية الحصول عليه. مع العلم أننا نستطيع الحصول على خلاص الله مجانا وبدون أي ثمن، وذلك بواسطة الإيمان بشخص الفادي المسيح وعمله الكفاري على الصليب من أجل ذنوبنا. إن الخلاص هو هبة مجانية من الله ولا يستطيع أحد شراءه، وبالتالي لايمكننا الدخول إلى ملكوت الله بواسطة أعمالنا الصالحة.

صحيح أن خلاص الله نحصل عليه مجانا، لكنه سيكلفنا في المقابل التخلي عن أمور كثيرة نكون متعلقين بها. فقد يكلف البعض أن يتخلى عن أمواله الكثيرة أو يخسرها، والبعض الآخر أصدقائه الأعداء، وآخرون أن يُطردوا من بيوتهم وأن تتخلى عنهم عائلاتهم. لا بل إن البعض قد يقدم حياته ويستشهد في سبيل إيمانه بالمسيح. ولا ننسى أن على المؤمن أن يتخلى عن مسرات الحياة الفانية، أي لذة الخطية المؤقتة.

إن كل هذه الأشياء أو الأمور الثمينة التي خسرها الإنسان لا تساوي شيئا بالنسبة للربح الذي يحصل عليه بواسطة خلاص الله. إن ملكوت السموات ثمين جدا كالكنز المخفي واللؤلؤة كثيرة الثمن، بحيث تبدو كل هذه الأمور كلا شيء أمام ربح خلاص الله المجيد. ولهذا قال المخلص المسيح أيضا: " إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني... لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه. " (متى ٢٦، ١٦: ٢٤)

أما الرسول بولس فقد أكد قائلاً: " لكن ما كان لي ربحا فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إنني أحسب كل شيء أيضا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح." (فيلبي ٣: ٨ و٧) فما هو موقفك مستمعي العزيز إزاء هذه الحقائق الهامة؟ وما الذي يقف حاجزا بينك وبين قبولك عطية الخلاص المجانية والتي لا تقدر بثمن؟

ألا تود صديقي الحصول على أثنى شيء في الوجود؟ على خلاص الله الثمين الذي وصفه المسيح بالكنز المخفي واللؤلؤة كثيرة الثمن؟ أو لا ترغب أن تنال السعادة الحقة والدائمة إلى الأبد؟ تعال إلى المسيح المخلص كما أنت، وهو لا بد أن ينقلك من سلطان الظلمة إلى ملكوت الله المجيد.